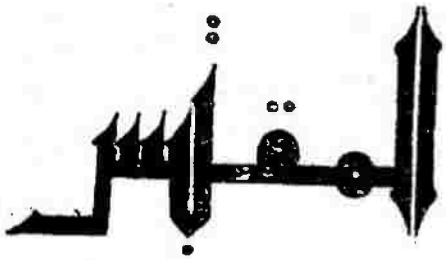

غرة رمضان سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

جول سيمون

١٨١٤ - ١٨٩٦

كان سيمون مثل كثير من رجال الادارة في الاسلام جامعاً بين العلم والسياسة يشبه بعلمه وعقله يحيى بن خالد وزير الرشيد ويحيى بن اكثم وزير المأمون ولسان الدين بن الخطيب وزير بني الاحمر ويعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي والصاحب بن عباد وزير بني بويه وأبي بكر بن زهر الاندلسي وزير المصامدة وابن سينا وزير شمس الدولة صاحب همذان وعبد الملك بن سعيد وزير يحيى بن غانية الملثم ملك الاندلس وأبو القاسم الحسين بن المغربي وزير العبيديين وصاحب ديار بكر وميافارقين والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين يوسف وغيرهم من الافراد في العلم والرئاسة على اختلاف في الطباع والبقاع . لكن هؤلاء الاعاظم تمكنوا من العلم ونشأوا على معاطاة الاعمال بفضل عقولهم وقوة ولوعهم ومترجمنا هذا نشأ وسط أمة

منورة ترغب في التعليم والتهذيب وتنشط القائمين بأمرهما فكان له من جودة طريقة العلم أعظم سبب يوصله الى غاية الفضل والفضيلة

ولد صاحب الترجمة من أبوين فقيرين في احدى قرى مقاطعة لوريان احدى العمالات الفرنسوية فلما ترعرع دخل المدرسة وناهيك بما يقاسيه ابناء المعوزين في المدارس للقيام بحاجاتهم المدرسية واداء أجور الدراسة . بيد ان فقره لم يثن من عزمه ودرس في مدرستي لوريان وفان اللتين درّس فيهما بعد. ولما أتم الدراسة عين أستاذاً في مدرسة رين عام ١٨٣٢ وما زال يتقلب في التعليم من دار علم الى دار علم حتى انتهى الى مدرسة السوربون الباريزية الكبرى وعهد اليه تدريس الفروع الحكمية العالية وظلّ طول هذا الدهر حليف فاقة اضطرته أن يشغل أوقات فراغه من التدريس في مؤازرة الصحف وتأليف الكتب فقضى في ذلك تسع سنين أتته بأجزل الفوائد . وقد بدأ أولا يؤازر في مجلة بريتان ثم في مجلة العالمين وما زال يؤازر في الجرائد والمجلات طول حياته فقد ذكروا انه ساعد في كتابة جريدة البريس والسيكل وكان مديراً لهذه من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٧٧ وادار شؤون الغولوا من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨١ والماتين والفيغارو والطان والدبا وغيرها من الجرائد والمجلات ومنها مجلة البيوت

قالوا ان الاحوال توجد الرجال وهو قول يصدق على سيمون كما يصدق على غيره فلو لم تطرأ على فرنسا طواري سياسية هائلة لظلّ سيمون يعلم في المدارس ويكتب في الصحف وينشر الكتب ولكن حب بلاده دعاه الى الدخول في غمار السياسة فخطب في قاعة السوربون بعد سقوط الحكومة الملكية سنة ١٨٥١ داعياً الى الحكم الجمهوري فقال وهو مما اشتهر به كثيراً

ما جئت لالقي عليكم درساً في الاخلاق بل جئت وعامل الواجب يدفعني ان اكون لكم مثالا تجرون عليه لا أن ألقنكم درساً تحفظونه . جئت لاقول لكم ان غداً تجتمع فرنسا وتلتئم منتدياتها لتندد بما أحدثته الحكومة أو لتقر عليه . أما أنا فأصرح على رؤوس الاشهاد بانه اذا لم ير الرؤون غير رأي واحد يناقض الاراء ويكون الى التنديد فانا اكون صاحب هذا الرأي لاغيري . اه

فكانت هذه الجملة المأثورة سبباً في تحيته عن التدريس في السوربون واضطر الى الاعتزال في ثانت زمناً انقطع فيه الى الابحاث التاريخية . وبعد فان الثورة الفرنسوية الثانية (١٨٤٨) هي مبدأ دخول سيمون فى السياسة فعين بعدها بقليل وزيراً للمعارف والاديان والفنون الجميلة وكان اكبر همه اصلاح التعليم فوضع مشروع التعليم الابتدائي الاجباري ثم استقال ولما كان في مجلس الشيوخ عني أيضاً بمسائل العلم وحاول أن يحول دون نشوب الحرب بين فرنسا وبروسيا فلم يفلح ولما انتخب سنة ١٨٦٣ عضواً في المجلس التشريعي استمال بما رزقه من شدة العارضة وقوة البيان قلوب من كانوا عليه إلباً حتى صاروا من أعز أنصاره فعرفه قومه بانه من أشد أعوان الفقيرات من النساء وداعية الحرية الدينية ومصلح حال العملة والعلم والتعليم . وعين أيضاً عضواً في المجمع العلمي الباريزي وهو المجمع المؤلف من أربعين عالماً من كبار علماء الفرنسيس وسنة ١٨٧٦ تولى رئاسة الوزارة كما تولى رئاسة عدة جمعيات وحفلات سياسية وعلمية وأدبية .

هذا هو الرجل العظيم الذي جمع في جنبيه العلم والعمل فكان العلم والتهذيب اكبر دافع له الى مقاومة أنصار الباطل والصبر على المكاره فيما

يلقاه من فقر وقلة ولم يتنازل عن مبدإه الذي ثبت عليه طول حياته . وأنت ترى بهذا النظر ان لسيمون من حيث السياسة والعلم شركاء ونظراء ليسوا بقلائل في كل أمة مرتقية لهذا المهد وانما سمت منزلته منزلة من عداه بالاخلاق الفاضلة والتفاني في خدمة الانسانية والمدنية . عاش من شق القلم وظل كذلك طول حياته بعد ان خطبته المناصب ورقي درجات العلى ولو أسف قليلا للتنازل عن مذهبه في الاخلاق لاصبح في رئاسة الجمهورية وعد من كبار ساسة الارض كما هو من اكبرهم في العلم والعمل ولقضى حياة طيبة خصوصاً في اخريات أيامه فقد ذكروا انه كان يكتب في الصحف ليعيش بما يكتب حتى ان احدى الصحف الكبرى نشرت مقالة من قلمه كان بعث بها في خلال مرضه ليأخذ أجرتها فصدرت يوم وفاته .

يعد سيمون من مؤسسي الجمهورية الثالثة الحالية ومن أشد أنصار التكافل الاجتماعي كما يعد رأساً في الكتابة والخطابة . وكتبه ومقالاته وخطبه ومقاماته تعد بالمئات وأول كتاب نشره « الواجب » و« الدين الطبيعي » و « الحرية الدينية » و « الحرية السياسية » و « الحرية المدنية » وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة موضوع واحد قسمه ثلاثة أقسام وأراد بها تعليم الجمهوريين وتنشئتهم على حب الجمهورية واشرابها قلوب الامة . ونشر أيضاً عدة كتب مثل « كتاب الفلسفة » و « الطبقة العاملة » و « المدرسة » و « اصلاح التعليم الثانوي » و « الوطني الصغير » و « موت سقراط والفلسفة الاسكندرية » و « المرأة في القرن العشرين » و « التعليم المجاني الاجباري » وغير ذلك من الاعمال العلمية النافعة وكلها دالة على روح فاضلة ونفس شريفة طاهرة تألم للظلم وتطمع في الاهابة بالانسانية الى حظيرة التعاضد والتكافل وتنزع الى اصلاح

حال البائسين اليائسين .

والناظر في كتبه يقرأ فيها أحسن ترجمة لحياته فقد كان على ما يظهر منها متديناً تديناً معقولا مازجته الحكمة والاعتدال فصح أن يدعى فيلسوفاً إلهياً وهو ممن نحتاج الى أمثالهم في مثل هذا القرن الذي قل الاعتدال في أهله فمن متدين غر جاهل لا يدري من أحوال العالم شيئاً ومن متعلم ينكر كل ما يقره المتدينون ويعد حطة عليه أن يتنزل الى ما لا يفيد بزعمه .

ألا أكرم برجل كسيمون بل اكرم ببلاد رفعته من حضيض قرية حقيرة كان فيها فلاحا خاملا الى منصة العلم والوزارة فصار عضواً عاملا في أمته بل اكرم بمبادىء صالحة وعلم صحيح سار على منهاجها فعف عن مالها وعاش عيشة حرية بمن يكتب في الحرية الحقيقية ويدعو الناس اليها عاش عيشة من وافق علمه عمله فكان العالم العامل والسياسي المحنك والغيور الصادق والنزيه المستقيم والحكيم العاقل . وقد كافأته أمته بان نصبت له تحت رعاية الجمهورية تمثالا في باريز خطب في الاحتفال به عظماؤهم في يونيو سنة ١٩٠٣ ورددوا أعماله وتأثيراته في عالم السياسة والعلم وأثنوا خصوصاً على طيب أخلاقه وفضيلته العملية